مقالة التشبيه

وموقف أهل السنة منها

تأليف

دكتور جابر بن إدريس بن علي أمير

الجزء الأول

أضواء السلف

المطلب الأول

تحقيق القول في عَدّ مقاتل وطائفته من طوائف المشبهة

وممن أُتهم بالتشبيه ، وَعُدَّ من طوائف المشبهة مقاتل بن سليما ن المفسر[١]فقد نسب ذلك إليه بعض العلماء ، حتى ذكر بعضهم طائفة مشبهة باسم المقاتلية نسبة إليه ، وتوقف في شأنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن العلماء من برّأه فاقتضى المقام إلى تحقيق القول في نسبة مقاتل إلى القول بالتشبيه أو عدمه ، مع بيان الصواب من ذلك بالدليل على مقاصد :

المقصد الأول : ذكر بعض مقالات من اتهم مقاتل بالتشبيه

نسبَ بعض العلماء القول بالتشبيه إلى مقاتل بن سليمان ، وأنه كان يقول كما ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري : إنَّ الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء من يدٍ ورجل ولسان ورأس وعينين وهو مع هذا لايشبه غيره[٢]!! وَنُسبَ إليه أيضا أنه كان يقول بمثل مقالة شيطان الطاق[٣] إن الله تعالى نور على صورة إنسان رَبَّاني[٤]!!

وذكر البعض طائفة باسم المقاتلية نسبة إلى مقاتل بن سليمان ، وأنهم كانوا

---

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي ، كبير المفسرين روى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة ، من مصنفاته : « تفسيره » و « الأشباه والنظائرفي القرآن الكريم » و « تفسير الخمسمائة آية من القرآن في الأمر والنهي والحلال والحرام » توفي سنة ١٥٠هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢وميزان الاعتدال ١٧٣/٤وتهذيب التهذيب ٢٧٩/١٠والأعلام ٢٠٢/٨وترجم له الدكتورعبد الله شحاته بتوسع في مقدمة كتابه الأشباه والنظائر ص/١٢-٢٨ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١٨٧/١ .

(٣) تقدم التعريف بشيطان الطاق وطائفته ومقالته في التشبيه انظر : ٢٥٦/١ .

(٤) انظر : الملل والنحل ١٨٧/١ .

يقولون : إن الله لحم ودم وله صورة كصورة الإنسان ، ويستدلون على هذا الزعم بأنهم لم يُشاهدوا شيئا موصوفا بالصفات إلا ماكان لحما ودمًا[١]!!

وقد ذكر بعض العلماء أنَّ مقاتل بن سليمان كان مع جهم بن صفوان[٢] بخراسان في وقت واحدٍ ، وكان جهم مفرطا في نفي الصفات وكان مقاتل في مقابله يثبت الصفات ويُبالغ في ذلك إلى حد التشبيه ، ويصف الله بأنه جسم ولحم على صورة إنسان[٣]!!

وهذا الحكم على مقاتل بن سليمان مأخوذ من مقالة الإمام أبي حنيفة رحمه الله في مقاتل : « أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : إنه ليس بشيء وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه »[٤]. وَرُوِي عنه أيضا أنه كان يقول : « أتانا من المشرق رأيان خبيثان ، جهم معطل ومقاتل مشبه »[٥].

ولذا جعل بعض الكتاب المعاصرين ظهور مقالة التشبيه في الإسلام على يَدِ مقاتل بن سليمان ، وأنها إنما ظهرت كردٍّ فعل على مقالة جهم في التعطيل ، التي كانت معها في بلدة واحدة[٦].

---

(١) انظر : الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني ٩٣/١والبدء والتاريخ للمقدسي ١٤١/٥ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٨٦/١.

(٣) انظر : الفصل لابن حزم ٧٣/٥-٧٤ .

(٤) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ١٧٣/٤والحافظ بن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٨/١٠ .

(٥) ذكره الإمام الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٦٤/١٣والإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢والحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٨١/١٠ .

(٦) انظر : فجر الإسلام لأحمد أمين ص/٢٩٧ومقدمة الدكتور أحمد سعد الغامدي على شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٣٩/١وتعليقات الدكتور عاصم القريوتي على قطف الثمر في عقائد أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان ص/٦٠وموقف شيخ الإسلام ابن تيمة من الكرامية في الإلهيات . للدكتور : عبد القادر محمد عبد الله ص/٩٧ . رسالة ماجستير جامعة أم القرى غير منشورة .

وهذا غير صحيح فإن مقالة التشبيه في الإسلام بنوعيها ظهرت قبل مقاتل بن سليمان ، على يد السبئية والبيانية كما تقدم(١).

وقد جانب الدكتور علي سامي النشار الصواب حين اعتبر جهم بن صفوان قد قام بوضع مذهب تنزيهي على زعمه للردِّ به على مقاتل بن سليمان ، ومذهبه في التشبيه والتجسيم(٢).

وهذا غير صحيح ، فإن جهم بن صفوان ليس مذهبه التنزيه ، بل هو معطل نافٍ للصفات(٣)، كما أن جهما لم يضع مذهبه التعطيلي ردًّا على مقاتل بن سليمان ، بل الذي عليه العلماء المحققون أن مقاتل بن سليمان هو الذي تصدَّى للرد على جهم بن صفوان المعطل بإثبات الصفات(٤). .

وقد اتهم ابن حبان(٥)مقاتل بن سليمان بأنه كان يأخذ من علم اليهود والنصارىمن القرآن ما يُوافق كتبهم ، وكان يشبه الربَّ تعالى بالمخلوقات ، وكان يكذب في الحديث(٦).

أمَّا كذبه في الحديث فقد ذكره كثير من العلماء(٧)، وأما في التفسير فقد أثنى

(١) انظر : ١٧٤/١ و ٢٣٥ و ٢٤٠ .

(٢) انظر كتابه : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢٩٠/١-٢٩١ .

(٣) انظر : ما ذكره الإمام أحمد في ذلك عن جهم بن صفوان في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية ص/٢٣-٢٦ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ١٥٩/١-١٦٠وفضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص/ ٢٨-٢٩ .

(٥) أبوحاتم محمد بن حبان البستي الإمام المحدث الحافظ الفقيه اللغوي من مصنفاته : « المسند الصحيح » و « الثقات والضعفاء » توفي سنة ٣٤٥هـ انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١٤١ومعجم المؤلفين ١٧٣/٩ .

(٦) انظر : المجروحين لابن حبان ١٤/٣ وميزان الاعتدال ١٧٥/٤ .

(٧) انظرما ذُكر عنه في ذلك في : ميزان الاعتدال ١٧٣/٤-١٧٤وتقريب التهذيب ٢١٠/٢ =

عليه بعض العلماء ، حتى قال في ذلك الإمام الشافعي : « الناس عيال في التفسير على مقاتل »[١]وقال عنه الإمام الذهبي : « وقد لُطِّخَ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرًا في التفسير »[٢]!!

المقصد الثاني : توقف شيخ الإسلام ابن تيمية في نسبة القول بالتشبيه والتجسيم إلى مقاتل

وقد توقف شيخ الإسلام رحمه الله في نسبة التشبيه إلى مقاتل بن سليمان ، واستبعد ما نُقِل عنه من القول بذلك فقال رحمه الله : « ... أما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله ، والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة ، وفيهم انحراف[٣]على مقاتل بن سليمان ، فلعلهم زادوا في النقل عنه ، أو نقلوا عنه ، أو نقلوا عن غير ثقة ، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد ، وقد قال الشافعي : « من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة »[٤] ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث[٥]، بخلاف مقاتل بن حيان[٦]،

= وراجع مانقله في ذلك من كتب الجرح والتعديل الدكتور : عبدالله شحاته في مقدمته على كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص/٣٧-٣٩ .

(١) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ١٧٣/٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٧٤/١

(٣) يقصد بذلك أنَّ المعتزلة يسمون من يثبت الصفات « مشبها مجسما ، ومقاتل يثبت الصفات !!

(٤) ورد في وفيات الأعيان في ترجمة مقاتل ٣٤١/٤ : « حُكِيَ عن الإمام الشافعي « أنه قال : الناس عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير بن أبي سلمة في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام » !!

(٥) انظر أقوال العلماء في عدم الاحتجاج بمقاتل بن سليمان ، وتضعيفهم له في : ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٣-١٧٤ .

(٦) أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطي البلخي الخراساني ، أحد الأعلام ، قال عنه الإمام الذهبي : « كان عابدا كبير القدر صاحب سنة وإتباع » وثقه الإمام يحي بن معين ، وأبوداود وغيرهما ، =

فإنه ثقة[١]، لكن لاريب في علمه بالتفسير وغيره وإطلاعه ، كما أنَّ أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء ، وأنكروها عليه فلا يستريب أحدٌ في فقهه وفهمه وعلمه ، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه ، ، وهي كذب عليه قطعا ... وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب »[٢].

وكلام شيخ الإسلام هذا وإن كان فيه توقف على الحكم على مقاتل بالتشبيه وعدمه ، إلا أنه أقرب إلى تبرأته من ذلك ، لكونه رحمه الله يستبعد أن يكون مقاتل قال بما ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري من القول بالتشبيه والتجسيم ، لأن الأشعري ينقل في مقالاته عن المعتزلة الذين يعتبرون من يثبت الصفات مشبها[٣]، ولا يبعد أن يكون ما نسب إلى مقاتل من هذا القبيل !! .

المقصد الثالث : تبرئة بعض العلماء مقاتل بن سليمان من القول بالتشبيه .

ومن العلماء من برأ مقاتل بن سليمان من القول بالتشبيه ، وأثنوا عليه واعتبروه من أهل السنة والجماعة ، ومن هؤلاء أبو الحسين الملطي ت ٣٧٧ هـ الذي يعتبر من أقدم من ألَّف في بيان مقالات أهل الأهواء والبدع والردِّ عليهم بالكتاب والسنة ، فقد أثنى رحمه الله على مقاتل بن سليمان واعتبره من الثقاة الذين يُطلب علمهم للردِّ به على من أشكلت عليه شبهات أهل الباطل من الزنادقة وغيرهم ، وأن من

= توفي قبل سنة ١٥٠هـ انظر : ميزان الاعتدال ١٧١/٤وتقريب التهذيب ٢١٠/٢ .

(١) إتهم الدكتور جلال محمد موسى شيخ الإسلام ابن تيمية بالخلط بين مقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان . انظر كتابه : نشأة الأشعرية وتطورها ص/٩٠ وليس الأمر كما ذكر ، بل ذكره شيخ الإسلام للتمييز بينه وبين مقاتل بن سليمان ، وذكر رحمه الله أن مقاتل بن حيان ثقة ، بخلاف مقاتل بن سليمان فإنه لايحتج بحديثه ولم يخلط بينهما كما زعم الدكتور جلال . انظر : منهاج السنة ٦١٩/٢ .

(٢) المرجع نفسه ٦١٨/٢-٦٢٠ .

(٣) ستأتي مقالاتهم في ذلك انظر : ١٤٧/٢ - ١٥٢ .

تدبر علمه نفعه الله به في ردِّ الشبهات ، فقال في ذلك : « فمن طلب علم ما أشكل عليه من ذلك عند أهل العلم به من ثقات العلماء وجد مطلبه ، ولعمري إنَّ أهل الأهواء في مثل ذلك اختلفوا فضلوا ، وهذه جملة جاءت بها الرواية وأخذناها عن مقاتل بن سليمان ، إنْ تدبرت ذلك نفعك إن شاء الله ... »[١].

ونقل عنه أربعا وعشرين صفحة في تأويل ماز عمه الزنادقة من متناقضات القرآن والرد عليهم في ذلك[٢]، ومن تأمل تفسيره لذلك تبين له علم مقاتل رحمه الله وقوة ردَّه للباطل وإقراره للحق .

وقد اعتبر الكوثري مانقله الملطي عن مقاتل بن سليمان في كتابه « التنبيه » دليلا على إثبات مارُمي به مقاتل من التشبيه والتجسيم فقال : « وقد احتفظ لنا التاريخ بقطع من تفسيره[٣]تثبت كمال الإثبات تشبيهه وتجسيمه »[٤]وقد قلده في ذلك الدكتور النشار فاستدل بما ذكره الكوثري لإثبات أن مقاتلا كان مشبها مجسما[٥]!!

وليس فيما نقله الملطي عن مقاتل مايدل على اتهامه بالتشبيه ، بل الكوثري ومقلده النشار وأضرابهما المعطلة فيهم انحراف على مقاتل بن سليمان ، فلا يقبل قولهم فيه ، لأنهم يعتبرون من يثبت الصفات ، ويسير على منهج السلف في ذلك مشبها مجسما كما سيأتي[٦]!!

---

(١) انظر : التنبيه للملطي ص/٧٠ .

(٢) انظر : المرجع نفسه من ص/٧٠-٩٤ .

(٣) يقصد مقاتل بن سليمان !!

(٤) مقدمة الكوثري على كتاب التنبيه للملطي ص/٧ .

(٥) انظر كتابه : نشأة الفكر الفلسفي في ذلك ١٩١/١-١٩٢ .

(٦) انظر : ١٦٣/٢ و ١٨٤ .

وقد عدَّ الشهرستاني مقاتل بن سليمان من أئمة السلف ، وقرنه بالإمام مالك واعتبره من السلف الذين سلكوا منهج السلامة في نصوص الصفات ، وابتعدوا في ذلك عن التشبيه والتأويل ، فقال في ذلك : « اعلم أنَّ السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام ، ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ، ونصرهم جماعة من أمراء بني أمية على قولهم بالقدر ، وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن ، تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة في متشابهات الكتاب الحكيم ، وأخبار النبي الأمين ﷺ ، فأما أحمد بن حنبل ، وداود بن علي الأصفهاني[١]، وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل : مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة ، فقالوا نُؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولانتعرض للتأويل بعد أنْ نعلم قطعا أن الله عز وجل لايشبه شيئًا من المخلوقات ... »[٢].[٣]!

ويقصد الشهرستاني بطريق السلامة المذهب التفويضي الذين ينسبه المتكلمون إلى

---

(١) أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني ، الملقب بالظاهري ، قال عنه الخطيب البغدادي : « هوإمام أهل الظاهر ، وكان ورعا ناسكا زاهدا » وكان لايرى التأويل ، والقياس والرأي ، توفي سنة ٢٧٠هـ انظر : تاريخ بغداد ٢٦٩/٨وميزان الاعتدال ١٤/١-١٦والأعلام ٣٣٣/٢ .

(٢) الملل والنحل ١٠٣/١-١٠٤ .

(٣) لكن كعادة المتكلمين في عدهم من يثبت الصفات الخبرية التي أولوها مشبها شنع الشهرستاني على مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وغيرهما من أهل الحديث فزعم أنهم يجعلون الله ذا صورة وأعضاء ، ويستدلون على ذلك بما ورد في الخبر : « إنَّ الله خلق آدم على صورته » وفي رواية أخرى : « على صورة الرحمن » انظر : الملل والنجل للشهرستاني ١٨٧/١وهذا من تشنيعات المتكلمين ووصمهم لأهل السنة بالتشبيه زورا وبهتانا ، فإنهم كما سيأتي يثبتون حديث الصورة كما ورد بلا تكييف ولاتمثيل انظر : ص/٤٧٥ .

السلف وسيأتي نقد هذا المذهب وبراءة أهل السنة منه في الباب الثالث[١]!!

وقد برأه العلامة أبو محمد اليمني[٢]، وجعل مقاتل بن سليمان المتهم بالتشبيه غير مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ، وإنما حصل الاتفاق في الاسم فقط[٣].

وذهب على منواله كل من أبي العباس السكسكي[٤]، وعبد الله بن أسعد اليافعي[٥]، حيث جعلاَ مقاتل بن سليمان المشبه غير مقاتل بن سليمان المفسر ، فإنه من علماء التفسير مبرأ من مقالة التشبيه[٦] ؛ لكنهم لم يذكروا دليلا على ما قالوه فإن المشهور عند جماهير العلماء أن المتهم بالتشبيه هو مقاتل بن سليمان المفسر!! .

المقصد الرابع : ذكر القول الراجح في شأن الحكم على مقاتل بالتشبيه وبراءته من ذلك

نستخلص مما تقدم اختلاف الآراء حول مقاتل بن سليمان وما نُسب إليه من

---

(١) انظر : ٢/٥١٦ ـ ٥٣٦ .

(٢) أبو محمد اليمني . ذكر الدكتور : محمد بن عبد الله الزربان أنه قد تتبع تراجم علماء اليمن فلم يجد من ذكره باسمه ، ولم يعرف إلا بكنيته ونسبته إلى اليمن ، وعزا ذلك إلى إخفائه اسمه بسبب ردوده على الإسماعلية وكشف أباطيلهم ، وكان يعيش تحت دولتهم ، ومن يقرأ كتابه : « عقائد الثلاث والسبعين فرقة » يعلم أنه سلفي العقيدة . انظر : مقدمة الدكتور : محمد بن عبدالله الزربان على كتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١-١٨ .

(٣) انظركتابه : عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٢٨٥ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١/١٤٦ .

(٥) عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني ثم المكي ، مال إلى طريقة الصوفية ، وسلك منهجهم ، حتى صنف في التصوف بعض المصنفات مثل كتاب : « روض الرياحين في منا قب الصالحين » وكان على طريقة الأشاعرة في الصفات ، توفي في مكة المكرمة سنة ٧٦٨هـ انظرترجمته في : شذرات الذهب ٦/٢١٠والأعلام ٦/١٠٣وترجمة الدكتور موسى الدويش في مقدمة كتابه ذكر مذاهب الفرق ص/١٥-١٧ .

(٦) انظر : التنبيه للملطي ص/٤٠ وذكر مذاهب الفرق ص/١٤٣ .

القول بالتشبيه ، بين مُثبت وناف ومتوقف .

والذي ظهر لي بعد البحث لاسيما بعد رجوعي إلى كتبه التي وصلت إليَّ ، أو الكتب التي نُقل عنه بالواسطة منها ، أو غيرها ظهر لي بعد هذا كله براءته من القول بالتشبيه والتجسيم الذي نُسِبَ إليه للأمور الآتية :

١ ـ إنَّ من نسب إليه القول بالتشبيه كالإمام أبي الحسن الأشعري ، وذكر مقالته في التجسيم وأنه كان يقول : إن الله جسم لحم ودم ونحو ذلك من المقالات الباطلة فإنه إنما نقل ذلك عن خصوم مقاتل كالمعتزلة وغيرهم من المتكلمين ، ممن يعتبرون إثبات الصفات تشبيها ، فيحتمل أنهم لما رأو ا مقاتلا يثبت الصفات ، ويرد على جهم بن صفوان المعطل تقولوا عليه ذلك .[١]!!

ومعظم الذين ذكروا مقالة مقاتل في التشبيه وشنعوا عليه بذلك فهم من المتكلمين خصوم مقاتل ، وكلام الخصم إذا كان منحرفا عن منهج أهل الحق لايقبل .

وقد تقدم اتهام الكوثري والدكتور النشار مقاتلا بالتشبيه ، واعتبارهم مانقله الملطي عن مقاتل في الرد على الزنادقة ، وما فيه من إثبات الصفات دليلا على مقاتل بالتشبيه والتجسيم فكيف يقبل كلام من انحرف عن منهج السلف في مسائل الصفات واعتبر ذلك تشبيها دليلا في الحكم على مقاتل بالتشبيه ؟!!

وإذا كان البعض يحتج للحكم على مقاتل بالتشبيه بكلام الإمام أبي حنفية وابن حبان ، والذهبي السابق الذكر[٢]، فيقال في هذه الأقوال وغيرها إنهم :

أولا : لم يذكروا مقالته التي يحكم عليه بها بأنه مشبه .

وثانيا : إنهم ربما ذُكرلهم ذلك ، وليس كل مايُذكر صحيحا ، لاسيما إذا وُجد

---

(١) ستأتي مقالات المعطلة في نبز من يثبت الصفات بالتشبيه والرد عليهم انظر : ١٤٥/٢ و ٢٠٥ .

(٢) انظر : ٣٢٥/١ و٣٢٦ .

مايُعارضه من كلام المتهم نفسه ، وسيأتي ماينقض هذا الاتهام من كلام مقاتل نفسه ، ويُبرؤ ساحته من ذلك .

وثالثا : ليس في قول الإمام الذهبي السابق الذكر ، مايدل على أن مقاتلا كان مجسما لأنه إنما حكى اتهام مقاتل بالتجسيم ، وأنه إنما لُطِّخَ بذلك ، مع أنه كان من أوعية العلم في التفسير كما ذكر ، وليس فيه مايدل على حكمه عليه بالتشبيه والتجسيم .

ومعظم الأقوال على مقاتل من علماء الجرح والتعديل إنما كانت في شأن قبول روايته في الحديث ، وأنهم لم يحتجوا بحديثه للعلل القادحة فيه ، من قولهم : إنه كان متروك الحديث وأنه كان كذابا[١].

وهذا وإن كان يقدح في روايته ، إلا أنه لايعني أنه كان مشبها ، فإن عدم قبول روايته شيءٌ ، والحكم عليه بالتشبيه شيءٌ آخر ، فكم قُدحوا في روايتهم للعلل القادحة فيهم كالكذب ، وسوء الحفظ ونحوه ، وهم ليسوا مشبهة ولا مجسمة !

٢ ـ ومما يدل على براءة مقاتل من القول بالتشبيه ، أنه بَرَّأَ نفسه لما سأله الخليفة المهدي[٢] قائلا : « بلغني أنَّك تشبه ، فقال إنما أقول : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فمن قال غير ذلك فقد كذب »[٣]!!

فقد برأ مقاتل نفسه من تهمة التشبيه واعتبر ذلك كذبًا عليه ، وتلا سورة الإخلاص التي هي من أعظم السور الدالة على وصف الله تعالى بصفات الكمال

---

(١) تقدم الإحالة إلى من قال بذلك في كتب الجرح والتعديل انظر : المراجع المحال إليها في ١/ ٣٢٦ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٢٤٩/١ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٨٢/١٠ .

وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب والشبيه والمثيل والكفؤ كما سيأتي[١].

٣ ـ إن تفسير مقاتل وكتابه الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، وكتابه تفسير الخمسمائة آية ، وما نقله عنه الملطي في كتابه التنبيه والردِّ على أهل الأهواء والبدع قد خلت هذه الكتب خُلوًا تاما مما نُسِبَ إليه من مقالة التشبيه والتجسيم حسب ما اطلعت عليه في هذه الكتب ، وحسب ما قرره قبلي محققو كتبه[٢]، فإنَّ ما ورد في هذه الكتب فيه موافقة لمنهج أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، وليس فيها تلك المقالة السابقة التي ذكرها أبوا لحسن الأشعري[٣]، وتناقلها بعض من إتهم مقاتل بالتشبيه ، لاسيما أهل الكلام المذموم ويمكن ذكر بعض الأمثلة من كتبه من صفات الله لبيان براءته من التشبيه والتجسيم .

فقد ذكر مقاتل في تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ذكر أن الله استوى على العرش وهو تعالى فوق العرش[٤]، وذكر أنَّ معنى استوى « استقر »[٥] ولو كان من المشبهة لتكلم في كيفية صفة الاستواء ، أو لذكر أن استواء الله كاستواء المخلوق[٦].

وليس في تفسيره للاستواء : بـ « استقر » تشبيه وتجسيم كما زعم

---

(١) انظر : ٢٨٣/١ و ٤٠٩/٢ .

(٢) ذكر كل من الدكتور عبدالله محمود شحاته والدكتور عبيد بن علي العبيد خُلو كتب مقاتل مما أُتهم به من القول بالتشبيه والتجسيم انظر : مقدمة الدكتور شحاته على الأشباه والنظائر ص/٥٢ومقدمة الدكتور عبيد على كتاب تفسير الخمسمائة آية ص/٦٠ .

(٣) انظر : ٣٢٣/١١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٢٠/٣ وما نقله عنه الملطي في تفسيره للآية المذكورة في كتابه التنبيه ص/٨٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤١/٢و٢٢٥و٣٦٦و٢٠/٣-٢١و٤٤٨و٢٧٣/٤وما نقله عنه الملطي في التنبيه ص/٨٥ .

(٦) سيأتي مذهب المشبهة في صفة الاستواء وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ص/٢٨١ .

الدكتور عبد الله شحاته[١]، بل ما ذكره مقاتل أحد معاني الاستواء عند أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر أهل اللغة الذين لم يتلوثوا بالكلام المذموم ذلك ، وأقره أهل السنة قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله : « والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو : العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه »[٢].

وذكر شيخ الإسلام أن تفسير الاستواء بـ « استقر » هو قول عبد الله بن المبارك[٣]، ومن تابعه من أهل العلم ، وبه قال : ثعلب[٤]، والكلبي[٥]، ومقاتل[٦].

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته معاني الاستواء عند أهل السنة ومنها « استقر » فقال في ذلك :

فلهم عبارات عليها أربعٌ قد حصلت للفرسِ الطعانِ
وهي استقر وقد علا وكذا ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو أربعٌ وأبو عبيدة[٧]صاحب الشيباني[٨]

---

(١) انظر : تعليقاته على تفسير مقاتل ٢١/٣والجزء الملحق بتفسير مقاتل له ١٠١/٥و١٠٨ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٢٨/٧-١٢٩ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٦١/١ .

(٤) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء ، المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، كان مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة ، ثقة حجة ، من مصنفاته : « الفصيح » و« وقواعد الشعر » و « معاني القرآن » توفي سنة ٢١٩هـ انظر : الأعلام ٦٢٧/١ .

(٥) أبوالنضر محمد بن السائب بن بشير الكلبي الكوفي النسابة المفسر ، رُميَ بالرفض ، توفي سنة ٢٠٤هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ٢٠١/١٠وميزان الاعتدال ٥٥٦/٣-٥٥٩وتقريب التهذيب ٧٨/٢ .

(٦) انظر : شرح حديث النزول ص/ ١٤٥وضمن مجموع الفتاوى ٥١٩/٥-٥٢٠ .

(٧) أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي بالولاء البصري ، النحوي من أئمة العلم والأدب واللغة ، من مصنفاته : « معاني القرآن » و « إعراب القرآن » توفي سنة ٢٠٧هـ انظر : وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٥والأعلام ٢٧٢/٧ .

(٨) يقصد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن[١].

غير أن الذي لاحظته على مقاتل ما ذكره من أنَّ استواء الله على العرش إنما كان قبل خلق السموات والأرض ، وهذا ليس فيه تشبيه ، والصحيح أنَّ استواء الله على عرشه كان بعد خلق السموات والأرض ، والآيات التي وردت فيها صفة الاستواء تدل على ذلك ومنها قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] وثم في اللغة العربية للترتيب والتراخي[٢]!

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض ، كما أخبر ـ الله ـ بذلك في كتابه ... »[٣]. وذكر رحمه الله أن المشهور عن السلفْ وأئمة الحديث وكثير من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم أنه تعالى استوى على عرشه بعد خلق السموات والأرض ، كما تدل عليه النصوص ، فيكون تعالى قد استوى عليه بعد أن لم يكن مستويا عليه[٤]!

ومما يدل على أن استواء الله على عرشه كان بعد خلقه السموات والأرض ما رواه قتادة بن النعمان[٥] رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لما

---

(١) نونية الإمام ابن القيم مع شرح الهراس ٢٣٣/١ .

(٢) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ١٣٥/١-١٣٧ .

(٣) كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٢٢٦/٥-٢٢٧ . وراجع المرجع نفسه ١٢٢/٥ .

(٤) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٥٦٥/١ .

(٥) أبو عمرو وقيل أبو عبد الله قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الأوسي ، وهو أخو أبوسعيد الخدري لأمه ، شهد مع رسول الله ﷺ العقبة ، وبدرا ، وأحدا ، وسائر المشاهد ، وهو الذي قلعت عينه يوم أحد فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه ، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر توفي سنة٢٣هـ انظر : الأعلام١٨٨/٥ .

فرغ الله من خلقه استوى على عرشه »[١] ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده فقال له : « يا أبا هريرة ، إن الله خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش اليوم السابع ... »[٢] غير أن هذه المسألة كما أسلفت لاتدل على قول مقاتل بالتشبيه مادام يثبت الصفة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته كما تقدم .

وقد وافق مقاتل في تفسيره لآيات المعية أهل السنة والجماعة ، ومما ذكره في ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] قال : « في الدفع عنكما ، ... فلا يصلون إليكما »[٣] ففسر المعية بالحفظ والتأييد ، وهذا صحيح . ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره أن ذلك : معية الحفظ والنصر والتأييد[٤] .

---

(١) رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري كما ذكر الإما م ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٣٤ولم أجده في المطبوع من كتاب السنة للخلال ، وقال الإمام الذهبي في العلو : « رواته ثقاة » ص/٦٣وانظر مختصر العلو ص/٩٨ح٣٨ .

(٢) الحديث بطوله رواه النسائي في سننه في كتاب التفسير ، تفسير سورة السجدة انظر : السنن الكبرى للنسائي ٦/٤٢٧ح١١٣٩٢وذكره الإمام الذهبي في كتابه العلوص/ ٩٤ح٢٢٥وذكرأنَّ في إسناده الأخضر بن عجلان وثقه بن معين ، وقال أبوحاتم : « يكتب حديثه » ولينه الأزدي ، وهذا الحديث غريب من إفراده ، وخرجه الشيخ ناصرالدين الألباني في مختصر العلو ص/ ١١٢وذكر أن تليين الأزدي إياه لاتأثير له ، لأن الأزدي نفسه متكلم فيه كما هو معلوم ، لاسيما وقد وثقه ابن معين ، وكذا الإمام البخاري وابن شاهين ، كما في « التهذيب » ، فهو متفق على توثيقه ، لولا قول ابن أبي حاتم يكتب حديثه ، لكن هذا القول إنْ إعتبرناه صريحا في التجريح فمثله لايقبل ، لأنه جرح غير مفسر ، لاسيما وقد خالف قول الأئمة الذين وثقوه ، ثم ذكر الألباني : أنَّ مثل هذا الحديث حسن قطعا على أقل الدرجات !

(٣) تفسير مقاتل ٣/٢٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣/١٦٢ .

وفسر مقاتل المعية في قول الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] فسرها بالعلم فقال : « ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ يعني : بعلمه إذا تناجوا »[١].

فهو بهذا التفسير موافق لأهل السنة والجماعة[٢]ولو كان من المشبهة لذكر أنَّ الله مع خلقه بذاته مختلط بهم كما سيأتى قول المشبهة في ذلك[٣]!

ويثبت مقاتل صفة العلم كما وردت وأن الله تعالى علم ماكان وما يكون لوكان كيف يكون ففي تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة : ٧٧] وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١١٠] ففي تفسيره لهاتين الآيتين ذكر أنَّ الله يعلم ماكان قبل الخلق وما يكون[٤].

فهو بهذا يثبت صفة العلم لله تعالى أزلا وأبدا وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها وبعد وجودها ، ولو كان من المشبهة لقال مثلهم : إنَّ الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها[٥]تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا .

ويثبت مقاتل صفة اليد لله تعالى كما وردت ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] ذكر أنَّ الرحمن خلق

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢٥٩/٤ .

(٢) انظر في ذلك : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٤٩-٥٠وتفسير الطبري ١٢/ ١٣-١٤ونقض التأسيس « المطبوع » ١٥١/١و الفتوى الحموية الكبرى ص/٦٠-٦١وضمن مجموع الفتاوى ١٠٢/٥-١٠٤وتفسير ابن كثير٣٤٥/٤والصفات الإلهية للشيخ محمد أمان ص/٣٩٩ .

(٣) انظر : ٣٥٦/١ و ٤٧٤ و ٢ / ٥٦ - ٥٧ و ٧٠ - ٧١ .

(٤) انظركتابه : الأشباه والنظائر ص/٣٦ .

(٥) سيأتي مذهب المشبهة في صفة العلم وموقف أهل السنة منه انظر : ص/٢٣٢ .

آدم بيده التي قبض بها السموات والأرض .[١]وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ذكر أنَّ المقصود باليد في الآية اليد بعينها[٢]. أي : نفسها وليست غيرها كما قال المعطلة إنها القدرة أو النعمة[٣]، فهو يرد بذلك على المعطلة !

وفسرها باللازم في مكان آخر فقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ بالخير[٤]! وهذا لايدل على أنه يعطلها كما فعل المعطلة الذين حرفوا معناها إلى القول بأن ذلك القوة أو النعمة ، أو النعمتين[٥]. لأنه أثبتها ، ثم ذكر اللازم ، وهذا ليس تعطيلا !

ويثبت مقاتل صفة المجيء كما وردت ، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] : « فيجيئ الله تبارك وتعالى ، كما قال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] وكما قال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] فأثبت رحمه الله تعالى صفة المجيء كما وردت ، وأورد الآيات التي وردت فيها كتفسير وتوضيح لها ، وبيان أن الله أثبتها ، فيجب إثباتها كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

ومما يدل على براءته من التشبيه ما ذكره في تفسيره[٦]لقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ

---

(١) انظر : الأشباه والنظائر ص/٣٢١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٣٢١-٣٢٢ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص/٢٢٨وأصول الدين للبغدادي ص/ ١١والإرشاد للجويني ص/١٤٦وأساس التقديس للرازي ص/١٢٥-١٢٧ونشر الطوالع لساجقلي زاده ص/٢٣٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١/٤٩٠ .

(٥) سيأتي الرد عليهم في ذلك انظر : ٢/٥٨٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤/٢٢٨ .

يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] أنّ المراد بالساق في الآية :

أ ـ الشدة يوم القيامة ، ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه(١).

ب ـ أنَّ الساق ساق الله سبحانه وتعالى ، فتضيئ الأرض بنور ساقه سبحانه ونقل ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه(٢).(٣)!

وهذا إثبات منه رحمه الله لصفة الساق كما وردت ، وما ذكره عن ابن عباس رضي الله عنه تفسير باللازم ، لأن من لازم كشف ساقه تعالى يوم القيامة الشدة والأهوال التي تصيب الناس يوم القيامة في الموقف ، لاسيما للمنافقين الذين يُدْعون إلى السجود لله تعالى امتحانا فلا يستطيعون(٤)!!

وسيأتي الرد على المعطلة في ادعائهم التشبيه في إثبات صفة الساق واستدلالهم لتقرير ذلك بأثر ابن عباس السابق ، وبيان أن هذه الصفة قد وردت في الأحاديث الصحيحة مضافة إلى الله تعالى ، فيجب إثباتها كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته(٥)!!

فَعُلم مما تقدم براءة مقاتل بن سليمان من مقالة التشبيه والتجسيم ، إذْ لا يوجد في تفسيره ، ولا في كتابه : الأشباه والنظائر شيء من ذلك ، بل يثبت لله تعالى صفاته كما وردت من غير تشبيه ولاتعطيل ، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

ولعل مقاتل بن سليمان الذي تُنسب إليه مقالة التشبيه ، غير مقاتل المفسر كما

---

(١) روي ذلك عن ابن عباس « انظر : تفسير الطبري ١٢/١٧٩و٢٠٠وتفسير ابن كثير٤/٤٣٥ .

(٢) روي ذلك عن ابن مسعود « انظر : تفسير الطبري ١٢/١٩٨ .

(٣) ووردت أحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ فيها إثبات صفة الساق مضافة إلى الله تعالى ، كما في حديث أبي سعيد الخدري « المتفق على صحته ، وسيأتي ذكره انظر : ص/٩٦١ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٣٥ .

(٥) سيأتي بيان ذلك عند الرد على المتكلمين الذين إعتبروا إثبات صفة الساق لله بدون تأويل تشبيها انظر : ٣/٣١٠ ـ ٣١٧ .

ذكر أبو محمد اليمني ، وتبعه في ذلك السكسكي ، واليافعي كما تقدم[١]، وإلا فإنَّ مقاتل بن سليمان المفسر بريءٌ من ذلك ، إذْ لا يوجد في كتبه شيء من التشبيه والتجسيم ، والرجل إنما يحكم عليه من خلال ما كتب وقال ، وقد نقلت من كتبه مايبرؤه من ذلك ، ومن وجد خلاف ذلك فعليه إثبات ذلك بالدليل من كتب مقاتل نفسه ، والحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذ به ، والرجال يعرفون بالحق ولايعرف الحق بالرجال !!

○○○○

(١) انظر : ١/ ٣٣٠ .